

ما زال ما نعلمه عن هذه الظاهرة أقل من أن يعطينا الحق في القول الفصل عن السر فيما يبدو من أن فرط التنبية ينتج ذلك السلوك الدال على العجز ذلك فإننا نلتقط بعض القرائن الهامة إذا ما أدركنا أن فرط التنبية يقع على ثلاثة مستويات ، وأقرب هذه المستويات إلى الفهم هو المستوى الحسي ؛ فقد أوضحت تجارب التجريد من الحس ، أن غياب المنبه الحسي المستجد يمكن أن يؤدي إلى الذهول وإفساد العمل الذهني. فإن تلقى الكثير من المنبهات الحسية غير المنسقة ، ومن هنا كان اتجاه الممارسين لعمليات غسل المخ السياسية أو الدينية إلى عدم استخدام التجريد الحسي وحده (كالعزل الانفرادي مثلاً) وإنما أيضاً إلى مهاجمة الحواس بوسائل تشمل الأضواء الوامضة والتغيير السريع للأشكال والألوان والمؤثرات الصوتية المشوّشة . وكل ترسانة السيكوديليك المشكلية إن ما نلحظه من هوس ديني وسلوك شاذ على بعض طوائف الهبيّين قد لا يكون من نتائج تعاطي المخدرات فحسب ، بل أيضاً من تجارب الجماعة في ممارسة أساليب التجريد الحسي ومهاجمة الحواس. إن الترتيل الرتيب للترانيم ، والتي تصل أحياناً إلى الالوهة والأجسام التي تصبح بشرتها رسوماً من كل شكل ولون ، تلف وتتوّر وتختلج ليخلق كل هذا بيئه حسيّة تتسم بزad وفير من الجدة والفجأة إن قدرة أي كائن عضوي على مواجهة الزائد الحسي تتوقف على بنائه الفسيولوجي. فلو فحصنا سرعة انتقال الإشارة داخل الكائنات المختلفة لوجدنا أنه كلما هبط مستوى التطور أبطأت حركة الإشارة وهكذا نجد ، أنه في بيضة قنفذ البحر ، وواضح أنه بمثل هذا المعدل لا يستطيع لكائن أن يستجيب إلا الجزء محدود جداً من بيئته. . . مرة ، وبين الحشرات والقشريات ١٠٠٠ في الثانية ، . . . سم في الثانية ، فإن النظام البيولوجي يفرض حدوده (الإشارات الكهربائية في الكمبيوتر على سبيل المقارنة أسرع من ذلك ببلايين المرات). إن قصور قدرة أعضاء الحس والجهاز العصبي يعني أن الكثير من الأحداث البيئية يقع بمعدلات أسرع من أن تستطيع تتبعها. ومن ثم فإن خبرتنا في أحسن حالاتها لا تعود أن تكون عينات مما يقع في البيئة. وعندما تكون الإشارات التي تصل إلينا منتظمة وتكرارية ، فإن عملية انتقاء العينات هذه تستطيع أن تعطى صورة ذهنية لا يأس بها للواقع. ولكن عندما تكون على درجة عالية من عدم الانتظام ، عندما تكون مستجدة وغير متوقعة فإن دقة تصورنا بالضرورة سوف تتناقص وتتشوه صورة الواقع في اذهاننا ولعل في هذا ما يفسر لماذا عندما نتعرض لفرط التنبية فاننا نعاني من اضطراب وتمويه الخط الفاصل بين الحقيقة والوهم إذا كان فرط التنبية عند المستوى الحسي يزيد من تشويه وعيينا للواقع ، فإن فرط التنبية عند المستوى الإدراكي يتدخل في قدرتنا على التفكير ». وبينما تكون بعض الاستجابات البشرية للجدة تلقائية ، فإن البعض الآخر يكون مسبوقاً بالتفكير الوعي. إن السلوك الراسد ، بنوع خاص ، يعتمد على التدفق المستمر لمعطيات البيئة. على الأقل لدرجة مقبولة ، بمعقبات أفعالية. إن سلامة العقل ذاتها معلقة بقدرة الإنسان على التنبؤ بمستقبله الشخصي القريب على أساس من المعلومات التي تغذيه بها البيئة. عندما يزج بالفرد في موقف سريع وغير منظم التغيير أو في بيئه مفعمة بالجدة ، ولا يعد يستطيع عمل التقديرات السليمة التي يعتمد عليها السلوك الراسد. والارتفاع بدقة تنبؤه مرة أخرى إلى المستوى المعتاد ، زاد بالتالي ما يحتاج الفرد إلى معالجته من المعلومات حتى يستطيع أن يتخذ قرارات راشدة وفعالة. ولكن ، وتنص كلمات الأخصائي النفسي چورچ أ. وقد نستطيع من خلال تصنيف المعلومات وتلخيصها ووضعها في صيغ رمزية بأساليب مختلفة ان نحط هذه القيود ولكن هناك ادلة قاطعة على ان قدراتنا على ذلك محدودة ولاكتشاف هذه الحدود ، شرع أخصائيو علم النفس ونظريات الاتصال في اختبار ما سموه: « قدرة القناة » في الكائن البشري. وبعد أن تعالج تخرج في شكل أفعال مؤسسة على قرارات. ثم عينوا المعلومات فنياً وقسموها إلى وحدات أطلقوا عليها اسم القطع. وحتى الآن استطاعت التجارب أن تضع معدلات لمعالجة المعلومات في محيط واسع التنوّع من الأفعال: من القراءة ، إلى إجراء عمليات الحساب العقلية. إلا أنهم يتفقون بشدة على مبدأين أساسيين: الأول: أن للإنسان قدرة محدودة. والثاني أن زيادة الحمل على الجهاز العصبي تؤدي إلى تدهور خطير في الأداء. عمله أن يضغط على زر ما كلما مر مكعب أحمر على السير الناقل الذي أمامه. فمادام السير يتحرك بسرعة معقولة فلن يلاقى هذا العامل أي صعوبة في عمله وسوف تقترب دقته إلى مائة في المائة. إننا نعرف أنه لو كانت مركبة السير بطيئة جداً ، كما سيصبح على الأرجح متواتراً مهتاًجاً. وقد يضرب الماكينة بداعي الإحباط الخالص. وأخيراً سيف عن محاولة متابعة السير في سرعة حركته في المثال السابق ، كانت المعلومات المطلوبة متسنة بالبساطة ، ولكن فلتتصور مهمة أكثر تعقيداً: فالمكعبات المتقدفة على السير الآن متعددة الألوان ، والتعليمات المعطاة للعامل هي الضغط على الزر عندما يظهر نسق معين من الألوان - مثلاً مكعب أصفر متبعاً بمكعبين أحمرین ثم بمكعب أخضر. وفي هذه الحالة سيتلقى ويعالج معلومات أكثر من قبل أن يقرر هل يضغط على الزر أم لا ؟ في هذه الحالة لوزادت سرعة السير فسيعاني صعوبة أكبر مما عاناه في الحالة الأولى. وقد يخالف أيضاً بين عدد المرات التي سيضغط فيها على كل زر. لقد أصبحت التعليمات المعطاة له الآن

تقول: بالنسبة للنحو أصفر- أحمر- أحمر- أخضر. وبالنسبة للنحو أخضر- أزرق- أصفر- أحضر. اضغط على الزر رقم سنة ثلاثة مرات ، فشملت الاختبارات الأضواء الوراثية ، قد تضاعلوا في أثناء الاختبارات إلى حالات يرى لها من الحمق والتخطيط لقد أسفرت النتائج ، بجلاء لا لبس فيه ، عن أنه أيًا كان نوع العمل سرعة لا يمكن تجاوزها في أدائه- ليس لمجرد عدم كفاية المهارة فثمة العضليات ، فالحاد الأقصى للسرعة تفرضه في الغالب حدود القدرة الذهنية أكثر مما تفرضه حدود القدرة العضلية. كما أسفرت هذه التجارب أيضًا أنه كلما زاد عدد الأفعال البديلة أمام الشخص الذي يجري عليه الاختبار اقتضاه ذلك وقتاً أطول للوصول إلى قرار وتنفيذ فالمديرون المبتلون بمطالب اتخاذ سهل لا ينقطع من القرارات السريعة المعقدة ، واللاميذ المغرقون في خيالاتهم من المعلومات والحقائق المروعة بالامتحانات المتكررة ، وغواية التلفزيون في البهلو- كل هؤلاء قد يجدون أن قدرتهم على التفكير بجلاء والتصريف برشد وقد أصابها الوهن والفساد بفعل موجات المعلومات المتدافعه إلى حواسهم. والمسابين بصدمة الثقة يمكن أن نعزّوها إلى مثل هذا الحمل الزائد من المعلومات جـ - مخربات ، إلى آخر ، أما إذا سئل المريض بالفصام العقلي أن يصنفها فمن المحتمل أن يقول: «إنهم جميعاً جنود» ، أو «إنهم جميعاً يثيرون الحزن في نفسي» لقد قسم من أجربت عليهم التجارب من الأشخاص الطبيعيين إلى مجموعتين ، وطلب منهم أن يربطوا بين كلمات مختلفة وكلمات أو مفهومات أخرى. جـ. من تلقى المعلومات ، وقد أسفرت هذه التجارب بدورها عن أن زيادة سرعة الاستجابة تنتجه عنه أشكال من الأخطاء بين الأشخاص الطبيعيين تتشابه- بدرجة عجيبة- بأخطاء المرضى بالفصام العقلي والنتيجة أن المرضى بالفصام يرتكبون أخطاء عند المعدل المعتاد شبيهة بتلك التي يرتكبها الأشخاص العاديون تحت ظروف المعدلات السريعة والمفروضة فرضاً». وباختصار ، فإن ميلار يطرح فكرة أن انهيار القدرة على الأداء لدى البشر تحت وطأة التحميل الزائد بالمعلومات قد يكون مرتبًا بالأمراض العقلية بأسباب لم يبدأ بعد في استكشافها ومع ذلك فإننا نعجل بتسارع المعدل العام للتغيير في المجتمع دون فهم مما لتأثيراته إننا نضطر الناس إلى التكيف مع خطوة اسرع للحياة ومواجهة موقف مستجدة والسيطرة عليها خلال وقت دائم التقادير. إننا ، بعبارة أخرى ، أما ما هي الآثار التي يمكن أن يتركها هذا في الصحة العقلية في مجتمع ما فوق التصنيع ، ولكن المشكلة تأخذ وضعاً عكسياً بين أهل المستقبل. هؤلاء الذين يهرولون بل يعدون ، من عمل إلى عمل وهو يغمغمون: «قرارات. إن السرفيها يحسونه من عجلة وانفعال هو أن الزوال والحدة والتنوع تفرض مطالب متناقضة ومن ثم تضعهم رهن قيد موجع إن دفعه التغيير المتتسارع ومقابلها السيكولوجي- الزوال- يدفعنا بنا دفعاً إلى الإسراع فيما نتخذه من قرارات خاصة وعامة. إن الاحتياجات الجديدة والطوارئ والأزمات المستجدة تتطلب استجابة سريعة. ثم إن جدة الظروف في حد ذاتها تأتي معها بتغيير ثوري في طبيعة القرارات التي ينبغي أن تتخذ. يصعد إلى القطار كما ظل يفعل لشهور وسنوات. لقد قرر منذ زمن أن قطار الساعة، ٨،٥ هو أقرب مواصلة متاحة له ضمن جدول القطارات. إنه أقرب إلى الفعل المنعكس منه إلى القرار. فالمعايير المائل ، فإن صاحبنا يفكر جاهداً قبل أن يتخذ مثل هذا القرار. وبهذا المعنى فالقرارات المنهجية لا تتكلف العقل كثيراً. وثمة عوامل عديدة يجب أن تدرس وتوزن ، وكمية ضخمة من المعلومات يجب أن تعالج ، والحياة بالنسبة لكل منا مزج من الاثنين معاً. فنبدأ أحياناً لا شعورياً- في البحث عن سبل لإدخال الجدة على حياتنا ، ومن ، ثم تعديل «خلطة» القرارات. ومرهقة ومفعمة بالقلق ، مـ. جروس أستاذ نظرية التنظيم يقول: «إن السلوك برترايم. والروتين لا غنى عنه لأنه يوفر الطاقات الخلاقة للتعامل مع التشكيلة الأكثر إرباكاً من المشكلات الجديدة والتي سيكون المقرب الروتيني بالنسبة لها مقترباً لا عقلانياً». ونحن إن لم نستطع أن نمنهج (الكثير من حياتنا فإننا حريون بأن نقايس ونتعذّب. واحتساء كل قドح ، وبذل كل نتفة من عمل ، لأننا إن لم نمنهج إلى حد كبير من سلوكنا ، أضمننا الكثير من قدرتنا على معالجة المعلومات في سبيل توافه الأمور. من أجل هذا تكون عاداتنا. لاحظ لجنة ما وقد عادت لاستئناف اجتماعها بعد فترة الغداء ، فستجد أن كل عضو تقريباً من أعضائها يتوجه إلى نفس المقعد الذي كان يجلس عليه من قبل. إن بعض الأنثروبولوجيين ينقبون في نظرية الإقليمية) بحثاً عن تفسير لهذا السلوك. نظرية أن كل إنسان يظل إلى الأبد يحاول أن ينحت لنفسه (مرجاً) مقدساً. ولكن ثمة تفسيراً أبسط يمكن في حقيقة أن المنهجية توفر فاقداً لا مبرر له من قدرتنا على معالجة المعلومات ، واختيار نفس المقعد يوفر علينا مؤونة دراسة وتقدير الاحتمالات البديلة وفي البيئة المألوفة نستطيع أن نعالج الكثير من مشكلات حياتنا بقرارات منهجية لا تتكلف كثيراً. فعندما ننتقل إلى جيرة جديدة مثلاً ، وصناعة سلسلة كاملة غالبة الكلفة من قرارات المرة الأولى اللامنهجية. الواقع أننا سنكون آنذاك مطالبين بإعادة منهجة أنفسنا ويصدق نفس الشيء تماماً على الوافد دون استعداد على ثقافة غريبة ، وبينما الدرجة أيضاً يصدق على الرجل الذي مازال يعيش في مجتمعه ثم يقذف به إلى المستقبل دون سابق إنذار. إن مقدم المستقبل في شكل من الجدة والتغيير يعني على كل ما تعب في

بنائه وتجميعه من روتينات سلوكية. إنه يكتشف فجأةـ لدهشته وفزعهـ أن هذه الروتينات القديمة تعقد من مشكلاته بدلـ من أن حلهاـ فالمطلوب قرارات جديدة لم « تمنهج »ـ بعدـ وإيجازـ ، فإنـ الجدةـ تقلبـ ميزانـ مزيجهـ لصالحـ القراراتـ الأصعبـ والأغلـىـ حقيقةـ إنـ بعضـ الناسـ أقدرـ علىـ تقبلـ الجديدـ أكثرـ منـ البعضـ الآخرـ وإنـ المزجـ الأمثلـ لكلـ منـناـ يختلفـ منـ فردـ لآخرـ. ولكنـ عددـ نوعـ القراراتـ المطلوبةـ منـ أيـناـ لاـ يقعـ تحتـ سيطرـتهـ الفـردـيةـ المـطلـقةـ. إنـ المجتمعـ هوـ الـذـيـ يحددـ أساسـاـ مـزـيجـ القراراتـ التيـ يـنـبـغـيـ لناـ أنـ نـصـنـعـ ، والـسرـعةـ التيـ يـجـبـ عـلـيـناـ أنـ نـفـعـلـ بـهـاـ ذـلـكـ. إنـ أحـدـهـمـاـ يـرـغـمـنـاـ عـلـىـ أنـ نـتـخـذـ قـرـاراتـ أـسـرـعـ ،